عصبة الامم

بقلم : د. كمال مصطفى مظهر

ترجمة : فيصل مصطفى

القسم الثالث والأخير

ويتحدث التقرير ذاته بصورة مفصلة عن كيفية انسحاب الانكليز في يوم (٥) ايلول سنة ١٩٢٢ من مدينة السليمانية وجميع المناطق والمراكز الواقعة في شمال أربيل - كركوك - كفري ، تحت ضغط الثوار واستنكار الجماهير ، ففي ذلك اليوم نقل الانكليز عن طريق الجو (٦٧) مسؤولاً من مسؤوليهم من السليمانية الى كركوك ، واناطوا ادارة شؤون المدينة بمجلس كان قد رشحه ممثلو أهالى المدينة قبل فترة[٣٨] .

كما سجل لنا التقرير ذاته بعض الجوانب المهمة حول عودة الشيخ من الهند . ففي الفقرة التي جاءت تحت عنوان (استلام السلطة من قبل الشيخ محمود وخططه مع الاتراك) يتحدث التقرير عن العلاقة السرية بين الشيخ وبين الكماليين عن طريق اوزدمير باشا فيقول - وصحيح ما يقوله - : لم يكن الكماليون صادقين مع الشيخ ، وانما كانوا يهدفون الى جعله بيدق شطرنج لتحقيق مآربهم[٤٠] ، لقد احتفظ لنا التقرير المذكور بمعلومات نادرة عن هذا الموضوع وعن النشاط الواسع للكماليين بين صفوف كرد العراق . وفي اماكن عديدة تحدث التقرير سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ علناً عن الاعتداءات التي قامت بها الطائرات الحربية البريطانية على المواطنين الابرياء في كردستان انتقاماً من الشيخ محمود والكماليين . ولا اصدق بان الانكليز آنذاك فعلوا في اية زاوية من زوايا البلدان الواقعة تحت نفوذهم واستعملوا انواع الاسلحة وخاصة الطائرات مثلما فعلوا في كردستان وطرحت لندن اعمالها هذه في تقاريرها الخاصة المقدمة الى مؤسسات (عصبة الامم) واعضائها كحدث اعتيادي .

وهكذا احتل نضال الشعب الكردي وخاصة حركات الشيخ محمود صفحات عديدة من تقريرهم اللاحق عن اوضاع العراق في الفترة من نيسان سنة ١٩٢٣ الى كانون الاول سنة ١٩٢٤[٤١] . ورد في هذه الصفحات ولمرات عديدة موضوع قصف السليمانية وحلبجة وأماكن اخرى من كردستان من قبل طائرات بريطانيا العظمى . وبموجب نص قول التقرير نفسه على ان قصف مدينة السليمانية في يوم ٢٥ مايس سنة ١٩٢٤ دفع بأهلها الى مغادرتها . وكما يقول بانه عند احتلالها من قبل الانكليز ثانية كان قد بقي فيها (٧٠٠) شخص فقط من بين مجموع سكانها البالغ عددهم (٢٠) الف شخص . وبعد شهرين تمكن نصفهم من العودة الى ديارهم ، ولكنها لم ترجع الى حالتها السابقة الاّ في شهر تشرين الثاني[٤٢] .

وإضافة الى البحث في الاوجه المختلفة للحياة الكردية في العراق ، فان تقرير سنة ١٩٢٦ [٤٣] تحدث عن سمكو بصورة خاصة ، وبهذا العدد كتب يقول :

«سمايل آغا (سمكو) : قام سمايل آغا المعروف بـ (سمكو) وهو رئيس عشيرة شكاك بثورة ضد الحكومة الايرانية ، الاّ انه لم ينتصر في المعركة التي دارت بالقرب من ديلمان ولجأ الى العراق ومعه مائة من رجاله بعد ان عبروا الحدود قرب «نهري» عن طريق تركيا وجاءوا الى منطقة «رواندوز» التابعة الى أربيل . فطلبت ايران من العراق تسليمها سمكو اسيراً ، الاّ ان العراق رفض ذلك لان قانون اللجوء السياسي في العراق لا يسمح بتسليم اللاجئين السياسين ، ومع هذا فقد سمحت الحكومة العراقية للايرانيين بان يبعثوا باحد ضباطهم الى داخل الاراضي العراقية للتباحث مع سمكو حول الشروط التي وضعتها ايران مقابل اصدار عفو عنه [٤٤]» .

وبصدد الحديث عن الكرد والعديد من المواضيع الاخرى المتعلقة بالعراق فان تقرير سنة ١٩٢٧ لا يقل عن غيره من التقارير من حيث الاهمية فلقد احتل موضوع حوار الانكليز مع الشيخ محمود مكان الصدارة فيه . ولتنفيذ هذا الغرض اتخذ الشيخ محمود السيد احمد البرزنجي ممثلاً عنه ورسولاً منه الى بغداد واطلق كتاب هذا التقرير تسمية (فوضوي كردستان الجنوبية) على السيد احمد البرزنجي . وطبيعي ان يكون الانسان الوطني والمخلص فوضوياً ومتمرداً ومخرباً في نظر جميع المحتلين والطغاة .

وهكذا يصف التقرير كلاً من صابر وعبد الله ولدي كريم فتاح بَكك الهموندي ايظاً . اللذين سلكا سيرة آبائهما وأجدادهما فوقفا صامدين في وجه المحتلين . وحسب ما جاء في التقرير فانهما كانا المناضلان الوحيدان اللذان بقيا في ساحة المعركة ممن كان الانكليز يتعقبون آثارهم بالطائرات والفرسان والجنود الليفيين في كل مكان .

كما ان تقرير سنة ١٩٢٧ قدم شرحاً موجزاً الى عصبة الامم

شيخ مەحمود

عن بعض الجوانب من الوضع الذي كان يعيشه الكرد الذين لجأوا الى العراق نتيجة الانتفاضة الكبيرة التي قام بها الشيخ سعيد بيران ، يقول التقرير : بان منطقة الموصل اضطربت نتيجة موجات نزوحهم . وكما جاء في التقرير فان (٤٥٠) فرداً من هؤلاء اللاجئين فقط بقوا داخل الارض العراقية بحلول سنة ١٩٢٧ ، أما الباقين فقد عادوا الى قراهم . ومن بين الباقين في العراق استقر حوالي (١٥٠) شخصاً في منطقة زاخو وحوالي (٢٥٠) شخصاً في منطقة دهوك وحوالي (١٠٠) منهم في مدينة الموصل وضواحيها [٤٧] .

وجاء في تقرير سنة ١٩٣١ [٤٨] ان عدداً من عشائر منطقة بادينان يترك ديانته ويعتنق الكفر ويأكل لحم الخنزير ، عليه (!) فقد قامت طائرات بريطانيا العظمى (وبكل اخلاص) بغارات عليها . وفي الصفحة التالية يأتي على موضوع القاء القبض على الاستاذ توفيق وهبي للفترة من منتصف نيسان الى (٣٠) مايس من سنة ١٩٣١ [٤٩] .

اضف الى هذا فان هذا التقرير ومثله تقرير سنة (١٩٣٠) يذكر مرات موضوع السادس من ايلول الاسود وتجدد انتفاضات الشيخ محمود لحين اسره وابعاده الى الناصرية ، وعند الحديث عن معركة آوباريك التي وقعت في الخامس من نيسان سنة ١٩٣١ ، يقول تقرير سنة ١٩٣١ ان الكرد «حاربوا بشجاعة ، ومع ان هجوم الطائرات والمشاة كان مستمراً طوال

النهار ، الاّ انهم قاوموا لحين حلول الظلام ثم انسحبوا» .

يصف معدو هذا التقرير بكل وضوح الغارات التي كانت تشنها الطائرات الانكَليزية والتي استمرت اسبوعين لملاحقة الشيخ الى ان اجبرته على الصبور الى الجانب الآخر فاتخذ من قرية بيران مقراً جديداً [٥١] . وبعد صفحات يذكر تقرير سنة ١٩٣١ كيف ان الانكَليز ارسلوا قوة خاصة لمحاربة محمود دخان الدزلي بناءً على طلب من الشاه رضا ولم يتخلوا عنه الى ان اسروه في (٣١) مايس من تلك السنة وارسلوه الى بغداد [٥٢] .

والتقرير اللاحق كان عن الفترة من منتصف كانون الثاني الى اوكتوبر من سنة ١٩٣٢ [٥٣] تحدث باسهاب (لعصبة الامم) عن (شهامة) الطائرات الحربية البريطانية في غاراتها ضد الثوار الكرد (! !) .

في هذه المرة صارت (الملحمة) الممتعة (! !) هذه (زهرة) البحث التي زينت الصفحات الستة الاولى من التقرير . كما ان التقرير ذكر ايضاً دون تحفظ ان غارات الطائرات الانكَليزية على الكرد قد توقفت لفترة من الزمن فقط للحفاظ على سلامة احد طياريها مع مساعده ، اللذين اسرهما (العصاة) الكرد . وسجل معدو التقرير حقيقة أخرى ايضاً للتأريخ وهي ان هؤلاء (العصاة) عاملوا اسيريهم برجولة وبعد فترة اخلوا سبيلهما [٥٤] .

ولم يخلو اي تقرير انكَليزي آخر عن العراق خلال الفترة من العشرينات الى اوائل الثلاثينات من التقارير التي قدمت الى (عصبة الامم) من التحدث عن الكرد .

ويعتبر تقريرهم الاخير الذي قدم قبل نهاية عام ١٩٣٢ الى (عصبة الامم) لمناسبة قبول عضوية العراق فيها خلاصة لجميع التقارير الاخرى ، لذا فان له اهمية خاصة وكبيرة . ومن فقرات هذا التقرير نختار مثالاً واحداً فقط وهو موضوع الثقافة والدراسة الكردية الى أوائل الثلاثينات اي الى ان اصبح العراق عضواً في (عصبة الامم) ، كانت الحياة الثقافية الكردية في تلك الفترة التي كانت بريطانيا العظمى تدير شؤون العراق (باسم) (عصبة الامم) تسير ببطء شديد . ومن المؤكد ان خطوات المناطق الاخرى كانت اسرع من خطواتها ، والاسوأ من ذلك انها كانت ترجع الى العداء احياناً . وكمثال على ذلك فان عدد طلاب المرحلة المتوسطة [٥٦] في مدينة السليمانية نزل من (١٦٥) طالباً قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى الى (١٠) طلاب فقط بعد (١٤) سنة من تحكم بريطانيا المتقدمة وقبل ان ينضم العراق الى (عصبة الامم) . والاسوأ من ذلك ايضاً ان عدد الطلاب الذين كانوا يدرسون في المدارس الكردية في ظل بريطانيا العظمى وقبل انضمام العراق الى (عصبة الامم) لا يتجاوز (١٥٤٥) طالباً في الوقت الذي كان عدد الطلاب الذين يدرسون في المدارس المسيحية . يصل الى (٦٣٠٠) طالباً والذين يدرسون في المدارس اليهودية (٨٤٠٠) طالباً ! ! [٥٧] . وهذا يعني انه كان لليهود الذين لا تتعدى نسبتهم ٣ - ٤٪ من مجموع الكرد خمسة اضعاف ما للكرد من حقوق دراسية ! ! .

وهكذا فان جميع الدلائل التي وصلت الى (عصبة الامم) عن الكرد عكست وبوضوح الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي غير الطبيعي . الذي كان يعيشه الكرد لاعضائها ، شرحت لهم كيف ان الكرد يعانون من الظلم والاضطهاد وهضم الحقوق بسبب الانكَليز وعملائهم ، صحيح ان مؤسسات (عصبة الامم) كانت تلتفت الى الكرد بين حين وآخر ولم تهمل تلك الرسائل التي كانت تتسلمها من الوطنيين الكرد [٥٨] ، ولكن موقف (عصبة الامم) تجاه الكرد لم يصل في يوم من الايام الى نصف الحد الذي نص عليه مضمون ميثاقها . وهذا دليل آخر أن (عصبة الامم) كانت بمثابة بيدق الشطرنج في قبضة الدول الكبرى .

لذا كان الوطنيون الكرد محقين في أن ينظروا الى (عصبة الامم) بعين الشك والكراهية ولم يأت حكم (سلام) في احدى قصائده التي نشرها لاول مرة في مجلة (هاوار) التي التي كانت تصدر في الشام [٥٩] على (عصبة الامم) اعتباطاً حين اطلق عليها نسمية (مطرقة في قبضة مستر هندرسن) وزير خارجية بريطانيا

العظمى آنذاك[٦٠] .

يقول (سلام) بكل ألم ومرارة عن (عصبة الامم) في قصيدته تلك :

يا (عصبة الامم) ، أيتها العصبة الكبرى
انت تعتمدين الخداع والتحايل والمناورة
تظاهرت بالحماس وبالاخلاص للكرد والفقراء
وصرحت بانك عازمة على انقاذهم
فان كنت صادقة في ادعائك فالتفتي اليهم
ولا تستهزئي بنا من أجل السياسة
الا تخجلين مما يفعلون بك ؟
(يامطرقة في قبضة مستر هندرسن) !

وبعد ان يفضح (سلام) مؤامرات (عصبة الامم) وألاعيبها يعود فيدينها بقوله :

متى كانت هذه عدالة ؟
ام ان ذلك من شيم وأصول الغرب .
ياعصبة الكذب ومنبر الحيلة والمكر
(يامطرقة في قبضة مستر هندرسن) !
في وصايتك تيتمت الشعوب
جعلت من افواه الكرد الفخ المطبق .

ويمضي (سلام) الى ابعد من ذلك فيعتبر (عصبة الامم) مقراً لـ (الفتنة والتزوير) ومنبعاً لـ (الفساد والمحن) لانه :

لقد رش بدماء الكرد
شارع السراى في السليمانية[٦٢]

وعند تناول الموضوع هكذا فان (سلام) الرافض يتجه الى عصبة الامم ويقول لها بملئ صوته :

ألا يؤلمك سفك الدماء ؟
طبيعي انك تجدين حقوقك في القتل[٦٣]
الا تخافين لعنة التأريخ
(يامطرقة في قبضة مستر هندرسن) .

وجدير بالذكر ان قصيدة (سلام) هذه جذبت اهتمام المثقفين الكرد والاجانب الذين كانوا ينظرون الى القضية الكردية كل حسب منظاره ، ولقد ترجمت الى الفرنسية وبعث «كرابيت» الارمني صورة منها الى (عصبة الامم) في جنيف . ولدى زيارة مينورسكي الى السليمانية استنسخها وأخذ نسخة منها معه ، كما ارسل قنصل ايران في السليمانية صورة منها الى وزارة الخارجية في طهران خاصة وان في القصيدة هجوم كثير على العجم وايران[٦٤]

عكست صورة (عصبة الامم) في اللغة الكردية أيضاً . اطلق عليها الادباء السورانيون أسم (عصبة الامم) و (عصبة الاقوام) وكتاب (هاوار) و (روناهي) اسم (جمعية الامم)[٦٥] .

استعمل البدرخانيون في هاتين المجلتين وفي مطبوعاتهم الاخرى كلمة (المجمع) بدلاً عن العصبة والجمعية والاتحاد . اقترح (المجمع العلمي الكردي) في حينه ان تستعمل كلمة (جفات) للنقابة[٦٧] . وأظن ان اقتراحه هذا مقبول لان الشاعر خاني استعمل كلمة (جفين) لـ (تجمع الناس) ، كما جعل كل من جكر خوين وكوردويف هذه الكلمة مصطلحاً .

اني على يقين بان تفحصاً دقيقاً لبقايا مطبوعات (عصبة الامم) ووثائقها يمكن ان ينير لنا جوانب مهمة أخرى من تأريخ الكرد .

الهوامش

- ٣٨

Ibid, p.35

٣٩ – كان اوزدمير باشا ضابطاً كبيراً وقديراً في الجيش التركي وكان يؤيد مصطفى كمال . كان أسمه الحقيقي علي شفيق وهو مصري الجنسية واوزدمير كان لقباً له . ارسله الكماليون مع قوة عسكرية الى رواندوز منذ حزيران سنة ١٩٢٢ . أستطاع اوزدمير التقرب من عدد كبير من زعماء الكرد . قطع لهم عهوداً كاذبة عديدة . تضايق الانكليز كثيراً من نشاطات اوزدمير وتعاونه مع الزعماء الكرد وخاصة مع شيخ محمود . وبعد فترة أضطر اوزدمير الى التراجع ، علماً بأنه كان بأستطاعة الكماليين أن يزعزعوا مكانة الانكليز في المنطقة بمجرد أن يكونوا صادقين في تعاملهم مع الكرد .

- ٤٠

(Report on Iraq administration, April 1922 – March 1923) p.36

٤١ –

(Report by his Britannic Majesty's Government on the administration of Iraq for the period April 1922 – December 1924), London, 1925.

٤٢ – Ibid. pp.32 – 33

٤٣ –

(Report by His Brittanic Majesty's Crovernment to the Couneil of the League for the year on the administration of Iraq for the year 1926), London, 1927.

٤٤ – Ibid, p.27

٤٥ –

(Report by His Brittanic Majesty's Government to the council of the League of Nations on the administration of Iraq for the year 1927, London, 1928

٤٦ – Ibid, p.24

نص التعبير هو :

(The Stormy Petrel of Southeren Kurdislan)

(بيتريل) ككلمة مستقلة أسم بحري صغير له قابلية عالية في الطيران . وعند أضافة (Stormy) اليها تصبح مصطلحاً يطلق على الشخص الفوضوي .

٤٧ –

(Report ... on the administration of Iraq for the year 1927), pp.24 – 25

٤٨ –

(Repot by His Majesty's Government in the United Kingdon of Great Britain and Northern Irland to the council of the League of Nations on the administration of Iraq for the year 1931)

٤٩ – Ibid, pp.15 – 16

٥٠ –

(Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and N orthern Ireland to the council of the League of Nations on the administration of Iraq for the year 1930)

٥١ – (Repont ... to the year 1931), pp. 16 – 17

٥٢ – Ibid, p.31

٥٣ –

(Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Bitain and Northern Ireland to the concil of the league if Nation in the administration of Iraq for the period January to October 1932)

٥٤ – Ibid, p.3

٥٥ –

(Special Report by His Majesty's Government in the United Kingdon of Great Britain and Northern Ireland to the council of the League of Nations on the Progress of Iraq during period 1920 – 1931), London, 1931.

٥٦ – يقصد بها مدرسة الرشدية .

٥٧ – (Special Report ...), pp.232 – 234 ، كما راجع : عبدالرزاق الهلالي – تأريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٩٣٨ – ١٩١٧ بغداد ، ١٩٥٩ ص١٨١ ؛ محمد أمين زكي ، تأريخ السليمانية وأنحائها . ترجمة محمد جميل بندي الروز بياني . بغداد ١٩٥١ . ص٢٠٥ – ٢١٠ : «العالم العربي» (جريدة) . بغداد ٢٠ كانون الثاني ١٩٨١ .

٥٨ – أنظر :

(Report .... on the administration of Iraq for the year 1931), pp.18 – 19

٥٩ – أنظر :

«هاوار» ، السنة الثانية ، العدد ٢٢ ، الاول من تموز ١٩٣٣ ، ص٧ ؛ أنها القصيدة الاولى في ديوان سلام (أنظر : «ديوان سلام» ، بغداد ١٩٥٨ ص١ – ٤) ، لم تطبع بعض مقاطع القصيدة في الديوان ، الاّ أن «هاوار» قد نشرت نصها الكامل .

٦٠ – يقصد به آرثر هيندرسن (A. Henderson) (١٨٦٣ – ١٩٣٥) الذي كان سكرتيراً لـ «حزب العمال» للفترة من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩٣٤ ، وفي عام ١٩٢٩ أصبح وزيراً للخارجية ، وفي سنة ١٩٣١ أستقال من منصبه ، أي أنه كان في منصبه حين نظم سلام قصيدته .

٦١ – أنها بعض الأبيات المختارة من قصيدة سلام وليست القصيدة بكاملها .

٦٢ – نظم سلام قصيدته هذه في الذكرى الاولى لليوم السادس من أيلول الأسود ، أي أيلول سنة ١٩٣١ .

٦٣ – ليته قال : (طبيعي أن تعني الحقوق في نظرك القتل) .

٦٤ – ذلك القسم الذي لم يرد في ديوانه .

٦٥ – نشرت قصيدة الشيخ سلام في «هاوار» تحت عنوان (الى عصبة الأمم) ، وفي ديوانه تحت عنوان (الى عصبة الاقوام) .

٦٦ – وعلى سبيل المثال ، أنظر :

«هاوار» ، السنة الاولى ، العدد الثاني ، الاول من حزيران سنة ١٩٣٢ ، ص١ .

والسنة الاولى ، العدد الرابع ، ٣١ من كانون الاول ١٩٣٢ ، ص١ .

٦٧ – أنظر :

«مجلة المجمع العلمي الكردي» ، الجزء الاول – القسم الاول ١٩٧٣ ، ص٥٢١ .